شرح

القواعد الأربع

إعداد فضيلة الشيخ

د. عبد العزيز الريس

المحتويات

مقدمة المؤلف ١

مقدمة ٢

أمورٌ تُميّز مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب ٢

مقدمات ٣

(١) أعظم الواجبات على المسلم ٣

(٢) أقسام التوحيد ٣

(٣) أنواع الشرك ٦

بداءة التعليق على المتن ٨

معاني (الحنيفية) ٩

(١) إقرار كفار قريش بالربوبية لم يُدخلهم في الإسلام ٩

(٢) تعلق المشركين بالشفاعة ١٠

أنواع الشفاعة وشروطها ١١

(٣) لا فرق بين من عبد حجَرًا أو ملكًا أو نبيًّا أو صالحًا ١٣

المعبودات من دون الله ثلاثة أقسام ١٤

(٤) مشركو زماننا أغلظ شركًا من الأولين ١٤

خمسة أوجه تُوضِّح أنَّ شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأولين ١٥

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد:

فهذا شرح ثان مختصر لرسالة (القواعد الأربع) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله رحمة واسعة – فرغها أحد إخواننا الأفاضل – جزاه الله خيرًا – ثم راجعتها مراجعة سريعة، وأصلها درس مرئي في تيوب الإسلام العتيق: https://www.islamancient.com/ar/?p=17268

أسأل الله أن يجزي أخانا خيرًا ويجعل هذا الشرح المختصر مشاركة في نشر التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأن يتقبله ويجعل له القبول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http: / /islamancient.com

٢٢ / ٤ / ١٤٤٧ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أَنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده اللهَ فَلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا اللهّ، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، أما بعد:

فهذه القواعد الأربع من جملة رسائل ومؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ والتي جمعت أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول: سهولة العبارة.

الأمر الثاني: كثرة الفائدة

الأمر الثالث: اختصار الكلام.

ومثل ذلك رسالة الأصول الثلاثة، وستة المواضع من السيرة، وفضل الإسلام، وكتاب التوحيد وهكذا...

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذا الموضع أربع قواعد، وفي موضع آخر ذكر أصولًا ثلاثةً وأصولا ستة وهكذا، وهذا لأجل أهميتها وهو كذلك من باب تقريب العلم؛ ليسهل حفظه وضبطه.

وهذا الأسلوب مستفاد من السنة، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

مع ان الموبقات أكثر من سبع، وفي البخاري: عن أبي بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النّبيّ ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين – وجلس وكان**

متكئا فقال – ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. فذكر ثلاثا من الكبائر مع كونها أكثر.

وقبل البدء بالتعليق على القواعد الأربع أقدم بمقدمات:

المقدمة الأولى: اعلم – حفظك الله ورعاك– أن أعظم الواجبات التوحيد لذا ابتدأ الله به في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وأعظم المحرمات ما هو ضده ونقيضه وهو الشرك لذا ابتدأ الله به لما ذكر المحرمات فقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

والتوحيد هو: إفراد الله بما يختص به كالعبادة فإنه قال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فلا تكون إلا لله وحده.

وضد التوحيد الشرك: وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء:٩٧]

هذا ما يقوله المشركون في النار لمن سووهم بالعزيز الجبار.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقد ذكر تعريف التوحيد هذا شيخنا العلامة محمد بن الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد، وذكره بمعناه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (التدمرية).

أما تعريف الشرك فذكره بمعناه شيخ الإسلام ابن تيمية في (التدمرية) وكتاب (الاستقامة) وكما في (مجموع الفتاوى) وابن القيم في (مدارج السالكين) و(إغاثة اللهفان) وابن رجب في (رسالة الإخلاص) والشيخ عبد الرحمن بن حسن في (فتح المجيد).

المقدمة الثانية: التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء الصفات.

وتوحيد الربوبية هو: إفراد الله بأفعاله، كالخلق والرزق والإحياء والاماتة.

وتوحيد الالوهية هو: إفراد الله بالعبادة، كالذبح والنذر والدعاء.

وتوحيد الأسماء والصفات هو: إفراد الله بأسمائه وصفاته، كالرحمن والرحيم والسميع والرحمة والسمع.

والدليل على توحيد الربوبية قوله سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أما دليل توحيد الإلهية: قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

أما دليل توحيد الاسماء والصفات فقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

ودليل الصفات قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

وجه الدلالة: أن الله نزه نفسه عما وصفه المخالفون للرسل وسلم على المرسلين؛ لأنهم وصفوه بما يليق به سبحانه فدل هذا على أن له سبحانه صفات، وفي الصحيحين واللفظ للبخاري: أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».

فالنبي ﷺ أقرَّ الصحابيَّ على قوله: (**لأنها صفة الرحمن**)، وهذا صريح في أن لله سبحانه وتعالى صفات، وفي هذا ردٌ على ابن حزم الذي أنكر أن تكون لله صفات، حتى قال ابن عبد الهادي في كتابه طبقات أهل الحديث: إن ابن حزم جهمي جلد.

فإن قيل: ما الدليل على تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة؟

فيقال: الاستقراء فإنه بمقتضى الاستقراء يقسم التوحيد لهذه الأقسام الثلاثة، ونتيجة دليل الاستقراء أنه حكاية للواقع لا إحداث شيء جديد، ومن هاهنا ذكر ابن هشام أن الكلام اسم وفعل وحرف بناء على الاستقراء [1].

تنبيهان:

التنبيه الأول: قد أشار الى أقسام التوحيد الثلاثة جمع من أهل العلم من السابقين واللاحقين؛ فقد أشار اليه أبو حنيفة في الفقه الأكبر، وابن منده في كتاب التوحيد، وابن جرير في تفسيره، واشتهر بذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وذكره المقريزي الشافعي في تجريد التوحيد، واشتهر بذكره أئمة الدعوة النجدية السلفية من الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى أتباعه في نصرة التوحيد.

التنبيه الثاني: أراد بعضهم أن يدخل توحيد الحاكمية في أقسام التوحيد فيجعله قسما رابعًا، وهذا لا يصح لأمرين:

الأمر الأول: أنه بمقتضى مفهوم التقسيم يكون كل قسم مغايرا للقسم الآخر، ولو قيل إن توحيد الحاكمية قسم رابع لكان داخلا في توحيد الربوبية أو الألوهية،

وذلك إن أريد به التشريع والتحليل والتحريم **فهذا توحيد الربوبية** وإن أريد به التعبد بذلك **فهذا توحيد الألوهية.**

الأمر الثاني: أن إفراد الحاكمية بقسم يكون سبب غلو في هذا التوحيد، والغلو فيه هو سبب أول تفرق وتحزب بدعي كان في الأمة الإسلامية، فإن سبب خروج فرقة الخوارج هو الغلو في مسألة الحاكمية،

---

(١) قطر الندى (ص: ١٢): "وهي اسم وفعل وحرف لما ذكرت حد الكلمة بينت أنها جنس تحته ثلاثة أنواع الاسم والفعل والحرف والدليل على انحصار أنواعها في هذه الثلاثة الاستقراء فإن علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع ولو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه".

والخوارج أول فرقة تحزبت على بدعة في الأمة الاسلامية كما ذكر هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى والاستقامة وابن كثير في تفسيره وابن رجب في جامع العلوم والحكم وما زالت الأمة تعيش مفاسد الغلو في هذا المسمى بتوحيد الحاكمية.

المقدمة الثالثة: الشرك نوعان: الشرك الأكبر والشرك الأصغر ويدل على أن الشرك أكبر وأصغر ما ثبت عند الإمام أحمد والبيهقي: واللفظ لأحمد عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء**».

فتبين من هذا الحديث أن: هناك شركا أكبر وشركا أصغر والأصل في لفظ الشرك والكفر والإيمان أنه محمول على كماله أي على الأكبر.

ذكر هذه القاعدة شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد السابع والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في الدرر السنية والرسائل النجدية.

وتعريف الشرك الأكبر قد تقدم.

أما تعريف الشرك الأصغر على الصحيح: أنه كل ما أطلق عليه شرك ودلت الأدلة على أنه ليس الشرك الأكبر.

وعلى أصح أقوال أهل العلم أن الشرك الأصغر يُغفر؛ كما ذهب إلى ذلك ابن القيم في كتابه الداء والدواء وابن حجر في الفتح، وعزاه إلى الطيبي، والشوكاني في نيل الأوطار، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

والقائلون بأن الشرك الأصغر لا يغفر استدلوا بعموم قوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] فقالوا: هذا عام يشمل جميع صور الشرك سواء كان الأكبر أو الأصغر، وإلى هذا القول ذهب ابن تيمية في كتابه تفسير آيات أشكلت على العلماء وكما في مجموع الفتاوى، وفي الرد على البكري، وهو قول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين.

والصواب والله أعلم أن الشرك الأصغر يُغفر وذلك أن أكثر ما يذكر الشرك في القرآن يراد به الشرك الأكبر، فإذًا انصراف لفظ الشرك إلى الأكبر يسمى أصوليا الظاهر فيكون معنى الآية: إن الله لا يغفر جميع الشرك الأكبر، فالعموم يعود إلى الشرك الأكبر؛ لأنه الظاهر عند إطلاق لفظ الشرك فعلى هذا يدخل الشرك الأصغر في قوله ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

(القواعد الأربع)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذ أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.**

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] **فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة؛ فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة. فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨]. **وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه:**).

استهلَّ الإمام محمد بن عبد الوهاب هذه القواعد الأربع بدعاء يتضمن عنوان السعادة، وأصل عنوان السعادة الثلاث مأخوذ من كلام الإمام ابن القيم في كتابه الوابل الصيب [٢]

ووجه ذلك؛ أن الشقاء:

- إما أن يكون بسبب مصائب الدنيا.
- أو بسبب الحسرة المترتبة على الذنوب.
- أو خوف ذهاب النعمة

---

(٢) الوابل الصيب (ص: ١١): "وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ولا ينفك عبد عنها أبدا فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث".

فالذي يهون مصائب الدنيا الصبر والذي يزيل مغبة الذنب التوبة، والذي يثبت النعم الشكر عليها.

وبيَّن الإمام المجدد الحنيفية التي هي ملة إبراهيم والتي معناها ألا يعبد إلا الله.

والحنيف لغة معناه: الإقبال ومنه سمي من مالت ساقه بالحنيف؛ وذلك أن قدميه لما أقبل بعضهما على بعض لزم من ذلك ميل ساقه ولازم معنى الإقبال الميل فتفسير الحنيف بالميل تفسير باللازم أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى وابن القيم في جلاء الأفهام.

فعلى هذا تعريف الحنيفية شرعًا: الإقبال على التوحيد والميل عن الشرك قصدًا.

فمعنى الحنيفية: ألا يعبد إلا الله وهذا الذي من أجله خلق الله الجن والإنس كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، ثم استعمل الشيخ طريقة بديعة وهي: تقريب الأمور العقدية بالأمور العملية فضرب مثلا بالحدث في الطهارة فقال: كما أن الحدث يفسد الطهارة فكذلك الشرك يفسد التوحيد ثم بين أن سبيل التخلص من شراك الشرك هو: معرفة أربع قواعد.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.**

والدليل قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٣١])

خلاصة القاعدة الأولى: أن كفار قريش مقرون بتوحيد الربوبية وحده أي: دون توحيد الإلهية، فلم ينفعهم هذا الإقرار، فدل هذا على أنه لابد أن يقر بتوحيد الإلهية مع توحيد الربوبية حتى ينجو العبد.

ويستفاد من هذا فائدة عظيمة وهي: أن معنى لا إله إلا الله يرجع إلى توحيد الإلهية لأجل هذا لم يقر به كفار قريش ولو كان راجعا إلى توحيد الربوبية فحسب لأقر بها كفار قريش ولما قالوا: ﴿**أَجَعَلَ**

﴿الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فإذًا ليس معناها لا محي ولا مميت ولا رازق إلا الله وإنما معناها لا معبود حق إلا الله [٣].

تنبيه: كفار قريش متناقضون في إقرارهم بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية؛ وذلك أن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه الإقرار بتوحيد الألوهية؛ لأنه كما أنه لا خالق ولا زارق ولا محيي ولا مميت إلا الله، فكذلك لا عبادة إلا لله لأن أجل ما يفعل هو العبادة فلا تكون إلا لمن لا يخلق إلا هو قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] فألزمهم سبحانه وتعالى بعبادته وحده، لأنه الخالق الرازق والمتفضل بهذه النعم قال ابن كثير في تفسيره: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة [٤].

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، فدليل القربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [الزمر: ٣] **ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** [يونس: ١٨] **والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**

---

(٣) قال سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد. (ص ٨٩): "وقال الطيبي: الإله فِعَالٌ بمعنى: مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلهة، أي: عبد عبادة. **وهذا كثير جدًا في كلام العلماء، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود** خلافًا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات".

(٤) قال ابن كثير (١/ ١٩٤): "**ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]**".

[البقرة: ٢٥٤]، والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضيَ الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥])

لما انتهى الإمام من بيان أن كفار زمانه مثل كفار قريش في أنهم مقرون بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية ومع ذلك صاروا كفارًا، فإذًا أنتم كفار مثلهم، فأراد كفار زمانه أن يذكروا فارقًا بينهم وبين الكفار الأوليين، بأن قالوا: إننا نعبد الصالحين ليشفعوا لنا عند الله لأننا مذنبون فتوجهنا إلى الصالحين لكونهم صالحين ليشفعوا لنا عند الله، فبين الإمام محمد بن عبد الوهاب أن هذا هو فعل كفار قريش، فإنهم كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ويقول الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]،

ثم بيَّن الإمام أن الشفاعة شفاعتان:

الشفاعة الأولى: مثبتة وهي: التي يثبت نفعها يوم القيامة.

والشفاعة الثانية: منفية وهي: التي ينتفي نفعها يوم القيامة فكل شفاعة لم تتوفر فيها شروط الشفاعة ولو اختل شرط واحد فهي شفاعة منفية.

الشرط الأول: الرضا عن المشفوع فيه، والمراد بالرضا الرضا العام؛ وهو: أن يكون موحدًا؛ لأن الرضا نوعان:

النوع الأول: الرضا العام وهو الذي تقدم ذكره، وهو شرط الشفاعة،

النوع الثاني: الرضا الخاص وهذا الناس متفاوتون فيه على مراتب لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله.

الشرط الثاني: إذن الله للشافع أن يشفع للمشفوع فيه والأدلة على هذين الشرطين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وجمع الله الشرطين في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، والدليل على الشفاعة المنفية قوله سبحانه: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا

بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] أما الدليل على الشفاعة المثبتة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] أي تثبت الشفاعة لمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد بين الإمام المجدد أن الشفاعة المنفية هي: أن يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله وهذه هي الشفاعة الشركية؛ لأن ضابط الشرك هو: تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله، فمن طلب ما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله، فقد سواه بالله في شيء من خصائصه سبحانه.

ثم إن للشفاعة أطرافًا ثلاثة:

الطرف الأول: الشافع وهم الأنبياء والصالحون والملائكة ومن الشافعين رسول الله ﷺ.

الطرف الثاني: المشفوع فيه وهو العبد الذي يشفع فيه.

والطرف الثالث: المشفوع إليه وهو الله سبحانه.

فإن الله سبحانه إذا أراد أن يغفر لأحد فقد لا يغفر له ولا يدخله الجنة إلا بعد شفاعة رسو ل الله ﷺ مثلا،

ففي هذا المثال: الشافع: رسول الله ﷺ

والمشفوع إليه: الله

والمشفوع فيه: هو الرجل المشار إليه في المثال.

فإن قيل: لماذا لا يدخل الله الرجل الجنة مباشرة وإنما بعد الشفاعة؟

فيقال: لحكمة عظيمة وهي: إظهار منزلة ومكانة الشافع عند الله ففيها إكرام له؛ لذا سمى الله شفاعة نبينا محمد ﷺ الشفاعة العظمى بالمقام المحمود قال: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

ذكر هذه التفصيلات الإمام محمد بن عبد الوهاب جوابًا عن شبهة مشركي زمانه لما قالوا: ما نعبد الصالحين إلا ليشفعوا لنا.

فخلاصة الجواب: أن هذا عين فعل المشركين الأولين، فكما كفروا لأجل شركهم هذا فإنكم تكفرون مثلهم.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والقاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين. ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار. ومنهم من يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾** [الأنفال: ٣٩]**، ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾، ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.**

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾، وحديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط". الحديث.)

أراد المشركون المعاصرون للإمام محمد بن عبد الوهاب أن يخرجوا بفرق بينهم وبين المشركين الأوليين لما أثبت الإمام بأنهم متساوون مع الكفار الأولين في القاعدة الأولى والقاعدة الثانية، فكأنهم قالوا: إن بيننا وبين المشركين الأولين فرقا وهو أن المشركين الأولين كانوا يشركون مع الله غير الصالحين كالشمس والقمر والأشجار والأحجار، أما نحن فنشرك الصالحين فحسب فرد عليهم الإمام بهذه القاعدة الثالثة، **وخلاصة** رده أنه بين أن قولهم هذا مردود من جهتين:

الجهة الأولى: الدليل العام وهو أن كل من أشرك غير الله مع الله فقد وقع في الشرك الأكبر سواء كان من أشرك به صالحًا أو طالحًا أو لا صالحًا ولا طالحًا كالأشجار والأحجار واستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فقوله ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: لا يكون أحد معه أيا كان.

الجهة الثانية: الدليل التفصيلي بأن ذكر وعدّد المعبودات التي كانت عند كفار قريش ومنها عبادة الصالحين من الملائكة والنبيين كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] فهذا دليل على أنهم كانوا يعبدون الصالحين، خلافًا لما يقوله المشركون المعاصرون للإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم ذكر الأدلة في عبادة الشمس والقمر،

لذا بين الإمام المصنف في كتابه كشف الشبهات أن المعبودات –من دون الله – ثلاثة:

الأول: الصالحون كالملائكة والنبيين.

الثاني: الطالحون كالبدوي مثلا، فلا يعرف عنه إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج، ومع ذلك عبده المشركون المتأخرون. ذكره السخاوي عن أبي حيان كما نقله الإمام عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين.

الثالث: ما لا ينسب لا إلى صلاح ولا إلى فساد كالشمس والقمر والحجر والشجر.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة.**

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] **تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.**)

لما استطاع الإمام أن يبين أن المشركين المتأخرين مثل المشركين الأولين، فإذا كفر الأولون بشركهم فكذلك يكفر المتأخرون بشركهم أراد أن يجهز على المشركين المتأخرين في هذه القاعدة الرابعة بأن يبين أنهم أشد وأغلظ شركا من المشركين الأولين؛ وذلك أن المشركين الأولين يشركون في الرخاء دون الشدة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

أما المتأخرون فكانوا يشركون في الرخاء والشدة، بل إنهم يزدادون شركا في الشدة فهم بهذا أغلظ شركا من الأولين فهم أولى بالتكفير لأجل الشرك من الأولين،

وهذا الذي ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب هو أحد الأوجه في بيان أن المشركين المتأخرين أغلظ شركا من الأولين،

وقد دلت خمسة أوجه على أن **شرك المتأخرين أغلظ من الأولين**:

الوجه الأول: ما ذكره الإمام في القاعدة الرابعة.

الوجه الثاني: أن المشركين المتأخرين يشركون حتى بالطالحين والفاسدين كما أشركوا بالبدوي، وقد ذكر هذا الوجه الإمام عبد الرحمن بن حسن في كتابه قرة عيون الموحدين.

الوجه الثالث: أن المشركين المتأخرين لا يعرفون معنى لا إله إلا الله بخلاف الأولين لذا لما عرف معناها الأولون أبوا أن يقولوها بخلاف المتأخرين يخالفونها ويقولونها فهم لا يعرفون معناها.

الوجه الرابع: أن من المشركين المتأخرين من يشرك في توحيد الربوبية كغلاة الصوفية والرافضة بخلاف المشركين الأولين فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وقد ذكر هذا الوجه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين.

الوجه الخامس: أن المشركين الأولين يقرون بالأسماء كلها إلا اسم الرحمن أشار إلى هذا ابن كثير في تفسيره، وذكره الشيخ سليمان بن عبد الله في مقدمة تيسير العزيز الحميد، والدليل على ذلك أنهم

أنكروا اسم الرحمن فأنكر الله عليهم، ولو أنكروا غيره لأنكر الله عليهم فلما لم ينكر الله عليهم غير إنكارهم لاسم الرحمن دل هذا على أنهم مقرون ببقية الأسماء، أما الصفات فقد كانوا مقرين بها قال ابن تيمية في الفتوى الحموية: "**بخلاف الصّفات فإنّه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب**"، وكذلك بين هذا ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين)، هذا بخلاف المشركين المتأخرين فمنهم من أنكر الأسماء كلها ومنهم أنكر الصفات كلها أو بعضها.

إذا تبين هذا تبين أن المشركين المتأخرين أغلظ وأشد شركا وتبينت غربة الدين وكيف أن كثيرا من المسلمين لا يعرف الأصل والأساس الذي من أجله بعث الأنبياء والمرسلون وهو توحيد الله.

وبهذا ننتهي بحمد الله من التعليق على القواعد الأربع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته